مكتبة البنين
قسم الدوريات

حولية
كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

غير مصرح بأعارتها من المكتبة

العدد الأول
١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

حول قضية التوفيق بين الدين والفلسفة

دكتور محمد ابراهيم الفيومي
مدرس الفلسفة بكلية الانسانيات

حاولت المدرسة الفلسفية في الفكر الإسلامي عندما تبنت الفلسفة بالترجمة والشرح والتأليف أن تصبغ عليها صفة التقديس حينما درستها كغاية في ذاتها وأصبح الحكيمان في نظرها معصومين والمدرسة بذلك أخطأت الفهم الفلسفي لمعنى الفلسفة .

على أي حـــال ترتب على هذا الفهم المدرسي أن برزت الفلسفة في الجو الفكري الإسلامي ومعها مسوغات رفضها من قبل العقل الإنساني لأن الفكر البشرى غدا في مفهوم المدرسة معصوماً من الخطأ حينئذ قذف بها العقل وسخر منها .

وسوف نعرض نموذجاً تطبيقياً لمحاولات يائسة نحو توحيد الفكر البشري وجعله مساوقاً للوحي الإلهي .

١ — الدين والفلسفة في نظر الفارابي في كتابه تحصيل السعادة :

« الملة محاكية للفلسفة عندهم ، وهما تشتملان على موضوعات بأعيانها ، وكلاهما تعطي المبادئ القصوى للموجودات ، فإنهما يعطيان علم المبدأ الأول والسبب الأول للموجودات وتعطيان الغاية القصوى التي لإجلها كون الإنسان وهي السعادة القصوى والغـــاية القصوى في كل واحد من الموجودات الأخرى .

وكل ما تعطي الفلسفة فيه من البراهين اليقينية فإن الملة تعطي فيه الاقناعات والفلسفة تتقدم بالزمـــان الملة . » (١)

يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق معلقا : والفرق بين الدين والفلسفة عند الفارابي هو من جهة أن طرق الفلسفة يقينية أما طريق الدين فاقناعي ، ومن جهة أخرى تعطي الفلسفة حقائق الأشياء كما هي ولا يعطي الدين إلا تمثيلاً لهـــا وتخييلاً . وقد ذكر الفارابي ذلك في مواضع مختلفة من كتبه (٢) .

---

(١) ص ٤٠

(٢) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٧٩

٢ ـ رأى ابن سينا فيهما :

« مبدأ الحكمة العملية مستفاد من جهة الشريعة الإلهية وكمالات حدودها تتبين بها وتتصرف فيها بعد ذلك القوة النظرية من البشر بمعرفة القوانين واستعمال الجزئيات .

ومبادئ الحكمة النظرية مستفادة من أرباب الملة الإلهية على سبيل التنبية ومتصرف على تحصيلها بالكمال بالقوة العقلية على سبيل الحجة (١) » .

٣ ـ ويعلق الشهرستاني في كتابه الملل والنحل على قول ابن سينا فيقول : ـ

والأنبياء أيدوا بأمداد روحانية لتقرير القسم العملي وبطرف ما من القسم العلمي . والحكماء تعرضوا لأمداد عقلية تقرر للقسم العلمي وبطرف ما من القسم العملي . فغاية الحكيم هو أن يتجلى كل الكون ويتشبه بالآله الحق تعالى بغاية الإمكان . وغاية الدين أن يتجلى له نظام الكون فيقدر على ذلك مصالح العامة حتى يبقى نظام العالم وينتظم مصالح العباد وذلك لا يتأتي إلا بترغيب وترهيب وتشكيل وتخييل . فكل ما وردت به أصحاب الشرائع والملل مقدر على ما ذكرناه عند الفلاسفة إلا من أخذ علمه من مشكاة النبوة فإنه ربما بلغ إلى حد التعظيم لهم وحسن الاعتقاد في كمال درجتهم .

« والدين والحكمة عند هؤلاء الفلاسفة يفيض كلاهما عن واجب الوجود على عقول البشر بواسطة العقل الفعال إذ المعارف كلها صادرة عن واجب الوجود بواسطة العقل الفعال وحيا كانت المعرفة غير وحي فلا فرق بين الحكمة والدين من جهة غايتهما ولا من جهة مصدرهما وطريق وصولهما إلى الإنسان .

٤ ـ تعليقات مختلفة حول القضية : ـ

رأى يقول : إن في قضية الدين والفلسفة إتجاه فكرى جديد بل وبعض الفلاسفة الغربيين يجعلها مناط الابتكار في الفلسفة الإسلامية .

ورأى يذهب إلى غير ذلك تماماً ويجعلها سبباً لانقلاب فلاسفة الإسلام إلى مبشرين بالدين الإسلامي ودعاة له (٢) .

ويرى « جولد زيهر » : أن توفيق فلاسفة المسلمين بين الدين والفلسفة لا ينم عن قبولهم

(١) تسع رسائل في الحكمة ص ٢

(٢) التمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٧٨

النفسي للفلسفة الإغريقية ولا عن رجاحة العقل الإغريقي لديهم أو اقتناعهم بعصمة الحكمة الإغريقية بل ينم عن خشيتهم من جمهور المسلمين وعن محاولتهم تجنب سخط الرأي العام الإسلامي على الفاسفة والفلاسفة » .

بينما يرى الدكتور / محمد البهى غير ذلك فيقول : ــ

« على أن التوفيق بين الآراء الإغريقية من جهة وبين الإسلام من جهة أخرى إن كان يعتبر مظهر للتعبير عن قبول فلاسفة المسلمين لها فهو في الواقع أهم مظهر لهذا القبول . إذ محاولة دفعهم التعارض بين الجانبين ينبئ عن تمسكهم بالفلسفة تمسكاً لا يقل عن تمسكهم بالإسلام وعن وضعهم لها في صبغته ومنزلته .

ولو أنهم لم يحرصوا عليها شدة الحرص لضحوا برأى الذى يتعارض من مبادئ الإسلام ولم يلجأوا إلى الحد من هوة المعارضة أو إلى محاولة إزالتهـــا » (١) .

رأينا في قضية التوفيق بين الفلسفة والدين : ــ

أولاً : تعليق على التعليقات :

واضح من التعليقات السابقة أنها تتجه إتجاهين :

* إتجاه يبرزها بأنها محاولة يتجنب بها سخط الرأى العام الإسلامي ويعني هذا الرأى أن المدرسة الفلسفية لم تتخير القضية لذاتها وإنما حملت عليها خوف إثارة الرأى العام . هذا الاتجاه لا نقبله لأن المدرسة الفلسفية وجهت الفلسفة معنى وموضوعاً ومنهجاً لخدمة هذه الغاية وذلك عندما خصت الفلسفة بالربوبية ومعارفها وكان العلم الإلهي يسمى عندهم الفلسفة بالحقيقة والفلسفة الأولى والحكمة المطلقة فقضية الدين والفلسفة لم تكن ملقاً فكرياً وإن كان هذا معنى يلاحظ من ورائها إنما كانت القضية بالدرجة الأولى تطبيقاً عملياً من المدرسة لفهمها الفلسفي متبعة في ذلك مدرسة الإسكندرية وشراح اليهود مثل فيلون الإسكندرى

* أما الاتجاه الثـــاني فإنه يشايعهم في قيمة القضية ووزنها الفلسفي ويتخذ من ورائها موقفاً يؤيد به موضوع الأصالة في إتجاه المدرسة الفلسفية ويدفع به أيضاً الرأى القائل بأن موضوع التوفيق لا ثقل له إلا من حيث تجنب سخط الرأى العام الإسلامي هذا الاتجاه

(١) الجانب الالهي من التفكير الاسلامي ص ٢٨٨

الأخير أجد نفسي لا تشايعهم فيه كذلك لأننا لا نجد فيه أصالة فكرية ولا إتجاهاً أصيلاً في الفلسفة ولا في الدين إنما الأمر كان تقليداً كما قلنا لمسالك الافلوطينية في مدرسة الإ سكندرية ومدرسة الإ سكندرية عندما تبنت هذا الموضوع كانت تخدم به التوفيق بين مدرستين مضطهدتين مدرسة أثينا واليهودية والمسيحية على اختلاف مراحل الاضطهاد من الدولة الرومانية .

فكانت القضية قميصاً يلبسه المفكرون أمام الاضطهاد السياسي لهم .

ثانياً : عرض للقضية من جانبنا :

نلاحظ أن المدرسة الفلسفية أظهرت الفلسفة على أنها علم الربوبية وعلم السلوك الفاضل فأصبح من الطبيعي للمدرسة الفلسفية أن تربط بين الدين والفلسفة مادام موضوعهما واحد وهو البحث عن الحقيقة المطلقة وكما يقول ابن سينا والفارابي قبله أن كلاهما يبحث في السعادة . أداهم هذا الفرض إلى إقامة بنيان شامخ أجهدوا في سبيله العقل .

أجهدوه في إقامة وحدة فلسفية أخرجوها من بين شتات مبعثر من آراء غير واضحة النسبة لأصحابها أو من ترجمة عاجزة عن إبراز النص واضحاً . بالرغم من ذلك فإن عقل المدرسة الفلسفية قدم الفلسفة – في محاولة شاقة – في مظهر من الوحدة المتآلفة ليوائم بينها وبين الدين ويحقق بذلك هدفاً فكرياً للمدرسة ثم يجعل للفلسفة سيادة شرعية في جو المجتمع الإ سلامي .

يعطي الموقف العام لخط سير المدرسة الفكرى أنها تسير في طريق صعب وغريب على الدين والفلسفة فليس في الفلسفة وحدة في الرأى وليس في الدين سلطة للعقل سوى التفسير ولقد رصدت المدرسة الفلسفية صعوبة الموضوع أو صعوبة تحقيق الوحدة المتجانسة بينهما من خلال تمايز الدين بأنه يقوم على الآدلة الإ قناعية والفلسفة تقوم على الآدلة البرهانية والنبي يتصل بالعقل الفعال عن طريق المخيلة والفيلسوف يتصل به عن طريق العقل ، هذه الفروق – وهي في نظرنا خيالية وليدة خيال الفارابي – ، ترفض قضية التوحيد بينهما من أساسها لأنها فروق جوهرية في نظرهم كذلك كان اضطراب نتائجها مسوغات كافية أمام الفكر الإ سلامي ليكافحها ويناهضها ودعوة لينظر إلى القضية من جديد . وتحددت

أسباب مكافحة الفكر الإسلامي للمدرسة الفلسفية من حيث نتائجها الفلسفية وليس من حيث أنها تبحث في فلسفة وافدة فاتجاه المدرسة في حد ذاته كان أشد ضرراً على الفلسفة وعلى تحديد مستقبلها .

من هنا برز إتجاه رافض لقضية التوفيق في الفكر الإسلامي من خلال صياغة عقلية أكثر تحرراً من المدرسة الفلسفية التي ربطت العقل بين مقدسين في نظرها هي الفلسفة والدين . أما الفكر الإسلامي فقد أسند كلاً منهما إلى شرعية انتسابه فنسب الدين إلى الوحي والفلسفة إلى العقل وأصبحت الفروق كالآتي : ـ

* الدين مصدره الوحي والفلسفة مصدرها العقل .
* الدين طريقه نبي معصوم من الخطأ والفلسفة طريقها فيلسوف ليس له هذه العصمة ولا يرغب هو فيها .
* الدين قضاياه يقينية والفلسفة ليست قضاياها كذلك .

بذلك وجدت النظرة الرافضة حيثياتها .

ويبدو من وجهة نظرنا أن افتعال قضية الفلسفة والدين ومحاولات المدرسة نحو تحقيق الوحدة بينهما هي التي أظهرت الفلسفة أنها غير متآخيه مع الدين أمام الفكر الإسلامي ثم اصرار المدرسة على ذلك جعل العلاقة بين الاتجاه الموفق قائماً على التنابز في بعض الأحيان وفي غالبها على نبذ كل منهما محاولات الآخر . نتيجة ذلك تحولت قضايا الجدل إلى قضايا عقيمة لا تهم الدين ولا الفلسفة ولا المجتمع وذلك بسبب ضيق النظر والتعصب . واسبغ كل منهما على الآخر أوصافاً عملت حواجز منعوا بها مشورات الرأى ورؤية أبعاد الخلاف الفكرى بينهما .

ثالثاً : محاذير التوفيق ونتائجه : ـ

إن إقامة وحدة بين الدين والفلسفة محاولة صعبة وعسيرة على الدين والفلسفة من حيث الناحية الموضوعية لأننا إذا ساوينا بين الدين والفلسفة إذا أردنا أن نسوى ففي أى موضوع ؟ نريد أن نسير مع القضية متدرجين درجة درجة .

أولاً : مصدر الدين الوحي ومصدر الفلسفة العقل . إذا قبلنا من وجهة النظر النظرية وآمنا بقضية التسوية فمعنى ذلك أننا نساوى بين العقل والوحي أى أننا نساوى بين قضايا يقينية وقضايا جدلية وتصبح خصائص الوحي هي خصائص العقل وخصائص العقل هي خصائص الوحي وتلك نتائج تنفر منها الفلسفة ولا يرضى عنها الدين إذا القضية من حيث المصدر غير قابلة للمساواة فلو وافق الفليسوف على أنه سوف يأخذ مواصفات الوحي ستلغى الفلسفة ولو وافق النبي على أن يأخذ مواصفات الفيلسوف سيلغى الدين أى سوف نجد في النهاية أننا بين دين فقط أو فلسفة فقط .

ثانياً : نلاحظ أن جميع الأنبياء يعطون للعقل قيمته بيد أنهم يجعلونه في منزلة تالية للوحي أما الفلاسفة فإنهم على النقيض من ذلك فغالبيتهم تؤمن بالعقل بالدرجة الأولى حتى فلاسفة المدرسة الفلسفية في الفكر الإسلامي ومعارف الوحي تالية له والبعض يؤمن بالعقل بالدرجة الأولى ولا شئ غيره ومعارف الوحي غير ثابتة له فينكرها أى بعض الفلاسفة يثبت الوحي وبعضهم لا يثبته وهذا الموقف في حد ذاته يمنع الشكل التوحيدى للقضية . فالفلسفة تحمل في نفسها هذه الآراء المتناقضة في الموضوع الواحد والنبوة منحة إلهية لا يمنح أياها إلا من كان ذو عقل فريد أى أن النبي مفكر وعاقل والنبي يعترف بالعقل غير أنه لا يعترف أنه مصدر الوحي وليس الوحي وليد تفكيره هذا فضلاً عن قضايا الإيمان التي يؤمن بها النبي ويرى الفيلسوف فيها حرجاً فهو قد يؤمن بها وقد لا يؤمن :

* فالنبي يعترف بأن النواميس تجيئه من قبل الوحي .
والفيلسوف لا يرى ذلك إنما هو دائم البحث عنها وفيها وقد يوفق وقد لا يوفق .

* النبي يعترف ويعلن ذلك بأن صفة النبوة والوحي ومعجزاته سبيلها الله إذ الله في عرف النبي قضية مسلمة وليست قابلة للجدال والنقاش في نفسه لا في نفس قومه لأنه قد يجادل قومه لإثباتها لهم .

* والفيلسوف يرى أن قضاياه الفلسفية طريقها العقل والمنطق وهو مرتبط بنتائج فكره فقد يصل إلى مرتبة الاعتراف بالله وقد لا يصل وإذا وصل إلى مرتبة الاعتراف بالله فإنه قد لا يعترف للنبي بأنه نبي .

يقول الدكتور * عبد الحليم محمود : ثم أن هذا الاتجاه خطر على الدين نفسه : إنه انصراف عن النص الإلهي إلى العقل ومن جانب آخر إقامة مصدر لمعرفة الغيب غير النبوة وفي ذلك لا شك صرف للناس عن التأمل في النص المقدس كمصدر لمعرفة الإلهيات وفيه كذلك تقليل من شأن النبوة » (١) إذا هناك صعوبات تخرج العقل عن حد الاعتدال أن تشبث بالتوحيد بينهما وذلك كما حصل في المدرسة الفلسفية في الفكر الإسلامي . فالفلسفة مازالت ترى في نفسها عجزاً عن حل مشكلات ما وراء الطبيعة ومازالت ترى أن عالم الغيب مشكلة إن عجزت عن الوصول إليه وإن أرادت حله وصفته بأنه خرافة وبين الرأيين فرق : فالموقف الذى وصف نفسه بالعجز عن الوصول إلى عالم الغيب فيه خطوة إلى الإيمان والموقف الذى وصفه بالخرافة فيه تقهقر عن الإيمان وفي النهاية إذا وفقنا بين الفلسفة والدين فهذا معناه أن الفلاسفة يؤمنون بعالم الغيب ومشكلات ما بعد الطبيعة وتاريخهم لا يشهد لهم بذلك .

(١) ابي حامد الغزالي – الذكرى المئوية ، معرفة الغيب .